

التقويم التربوي: نحو الضبط المفاهيمي والفعالية الوظيفية

عمر أكراسي، أستاذ بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين فاس-مكناس

Akrasi.omar1@gmail.com

ملخص: يعتبر التقويم عملية أساسية من عمليات التعليم والتعلم، إن لم نقل قطب الرحى والقيمة المركزية لكل ممارسة بيداغوجية، ومقاربة تربوية. إذ يهدف إلى الرفع من جودة التربية والتعليم، ومواكبة مدى تحقق الأهداف والكفايات، التي تنغياها منظومة التربية والتكوين. فهو يُمكن من تقييم وقياس جودة وفعالية هذه المنظومة في بعديها الماكرو تربوي (قيم، أخلاق، اتجاهات)، والميكروتعليمي (بناء التعلّيمات داخل الفصل). فالتقويم عملية وسيرورة تهدف إلى إصدار حكم، سواء كان كميا أو كيفيا، حول مدى تحقق معارف أو مهارات أو قيم، بناء على معايير، ومقاييس، وشبكات خاصة بالتقويم. والتقويم كما سيتم تداوله لا يقف عند معناه الدوسيمولوجي والسيكولوجي فحسب، بل حتى في بعده السوسولوجي، الذي يهتم كل الجوانب المتعلقة بالتقويم: متعلم، مدرس، مؤسسة، سياسة تعليمية، مناهج.

الكلمات المفتاح: التقويم-التقييم-القياس-وظائف التقويم-تقويم القيم.

Résumé : L'évaluation est l'un des fondements principaux et nécessaires de l'enseignement et d'apprentissage et elle est même la pierre angulaire et la valeur centrale de chaque acte pédagogique et approche éducative. L'évaluation vise à améliorer la qualité de l'éducation et de l'enseignement. Elle accompagne également le degré de la réalisation des objectifs et des compétences que veut atteindre le système de l'éducation et de la formation.

En générale, l'évaluation permet de valoriser et mesurer la qualité et l'efficacité de ce système dans sa dimension macro-éducatif (valeurs, mœurs, attitudes, établissements, politiques éducatives) et micro-pédagogique (construction des apprentissages en classe).

Mots clés : L'évaluation - la valorisation - la mesure - les fonctions de l'évaluation - l'évaluation des valeurs.

مقدمة

يعتبر التقويم جزءاً لا يتجزأ من عملية التعليم والتعلم، وأحد المداخل الهامة لإصلاح التعليم وتطويره؛ إذ يعد موجهها ضابطاً لمنظومة التربية والتكوين بكافة مكوناتها وعناصرها. حيث يُمكن من انتقاء أهداف العملية التعليمية والتعلمية، وبلوغ مستويات عالية فيها، كما أنه يساعد المتعلم على تقويم نتائجه، والمعلم على تقويم كفاءته وأدائه.

إن ما يلفت الانتباه، هو تساوق ظاهرتين اثنتين، الأولى التأليف المطرد في موضوع التقويم، والثانية الأزمة التربوية والبيداغوجية التي يعرفها التقويم التربوي، والعجيب في الأمر أن هاتين الظاهرتين أقرب إلى التضاد والمشاكلة منها إلى المطابقة.

فكيف نفسر إذن، تتابع التأليف في مجال التقويم من جهة وتسارع إيقاعه، واستفحال أزمة التقويم وفشله، سواء التكويني منه أو الإسهادي من جهة أخرى. وهذا ما كان قد عبر عنه جون ماري باربييه في كتابه التقويم في عملية التكوين¹.

1- التقويم وسؤال الماهية

1-1- في معنى التقويم

إن كلمة التقويم [évaluation] تعني من الناحية الاشتقاقية استخراج قيمة من شيء [extraire]

[la valeur de] فيكون التقويم بذلك، هو إبداء حكم قيمة حول فعل، أو سلوك، أو تعلم. بناء على معطيات إحصائية كمية ملموسة. ويعتبر التعريف الذي قدمه دوكتيل من أهم التعاريف الإجرائية والتامة لمفهوم التقويم وهو:

«évaluer signifie : recueillir un ensemble d'informations suffisamment pertinentes valides et fiables, et examiner le degré d'adéquation entre cet ensemble d'informations et un ensemble de critères adéquats aux objectifs fixés au départ ou ajustés en cours de route, en vue de prendre une décision»².

إن الإحاطة بمفهوم التقويم كان وما يزال مثار اختلاف وتنوع في الرؤى والتطورات، وهو الأمر الذي عبر عنه "شارل حادجي" حينما وجه لمجموعة من المدرسين السؤال التالي: ماذا يعني التقويم؟ حيث كانت إجاباتهم مختلفة ومتنوعة انحصرت في التالي:

■ التحقق من المكتسبات في إطار التقدم.

■ الحكم على مستوى تلميذ ما، بالمقارنة مع باقي

القسم.

■ الحكم حسب معايير وأهداف محددة بشكل

مسبق.

■ تقدير مستوى الكفاءة لدى التلميذ.

DE KETELE, J.M. (1987). *Observer pour éduquer*, 4^e édition, Berne, Peter Lang, p. 22.

BARBIER, J.M. (1990). *L'évaluation en formation*, Paris : PUF, p. 9-15.

التقويم التربوي: نحو الضبط المفاهيمي والفعالية الوظيفية

استخدمه في كتاباته، نفس الأمر مع جون ديوي Dewey الذي ربط التقويم، باعتباره إصدار حكم حول الأفعال والقيم، إلا أن كارديني (1989) Cardinet في كتابه "التقويم المدرسي والقياس" في مقاله المعلنون بـ: "Evaluer sans juger" تحدث عن التقويم الوصفي وأولويته على التقويم "évaluation-jugement"³.

في البيداغوجيات المعاصرة، هناك ميل لاستخدام كلمة تقويم بدل تقييم، والسبب هو مخافة فتح الباب أمام إطلاق أحكام القيمة بشكل جزائي على الأفراد أو المؤسسات، ولأن كذلك التقويم يشمل مجالات واسعة يتقاطع فيها ما هو أخلاقي، فني، اقتصادي، اجتماعي... الخ. الحال الذي قد يوقع في الخلط والارتباك⁴.

إن التقويم بمعناه المعاصر، جامع للمعنيين معا: إنه تحديد قيمة الظاهرة أو العملية التربوية وهو التقويم، وفي الوقت ذاته تصحيح وتقويم لمسارها على أساس ذلك التقويم. لذلك، كان التقويم ممنعا ما لم يكن مستندا إلى تقويم⁵.

3-1- من القياس إلى التقويم:

يتداخل مصطلح التقويم مع القياس، في جوانب عدة، وفي مواقع تربوية كثيرة، إذ هناك من يوظفهما

■ التعبير وتمثيل درجة النجاح المدرسي، بواسطة عدد حسب المعايير المعتمدة.

■ التحقق من حضور معارف وكفاءات معينة.

■ إصدار حكم حول قيمة...¹.

من خلال كل هذه التعاريف، يتبين أن هناك تداخلا بين التقويم، والتقييم والقياس. إن التقويم التربوي كثيرا ما قدم على أنه تقييم، أو قياس، وكأن الأمر يتعلق بمردفات لها نفس الدلالة والمعنى... لأنه وكما سبق أن ذكرت فهذا المفهوم يتداخل ويختلط مع مفاهيم عدة كالتقييم [Valorisation]، والقياس [Mesure]، والتقدير [Assesment]، لذلك سنحاول تقديم مفهوم التقويم بتمييزه عن هذه المفاهيم خصوصا مفهومي التقييم، والقياس.

2-1- تقويم أم تقييم؟

لقد أثارَت مسألة التمييز بين "التقويم" و"التقييم" لغطا كبيرا في مجال التأليف والتداول التربويين؛ إذ هناك من ينتصر للتقويم، وهناك من يرى أن مصطلح التقييم هو الأدق والأصح. بالرغم من أن المصطلحين ينحدران من نفس الجذر اللغوي "قوم"، كلاهما يخلص بنا إلى معاني التقدير والتثمين والقياس والتعديل والتصحيح². والتقويم، هو سابق في النشأة والتداول على التقويم، إذ نجد ماكس فيبر Weber قد سبق وأن

¹ HADJI, C. (1990). *L'évaluation, règles du jeu*, 2^{ème} édition, Paris : ESF éditeur, p. 21-22.

² منصف، عبد الحق. (2007). *رهانات البيداغوجيا المعاصرة: في*

قضايا التعلم والثقافة المدرسية، الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، ص.

³ HADJI, C, in Figari, G et Remaud, D. (2014). *Méthodologie d'évaluation en éducation et formation*, avec la collaboration de Claire Tourmen, Bruxelles, De Boeck, p. 45.

⁴ Ibidem.

⁵ منصف، عبد الحق، مرجع سابق، ص. 115.

التقويم التربوي: نحو الضبط المفاهيمي والفعالية الوظيفية

وتكافؤ الفرص بين المتعلمات والمتعلمين، وعدم التمييز فيما بينهم أثناء التعلم.

هناك تعالق وثيق بين الوظيفة من التقويم والغاية المحددة لها سلفاً، أو بطبيعة القرار الذي سيتم أخذه. فإذا أردنا أن نحدد ونحسم في نجاح المتعلم، احتجنا للتقويم من أجل المصادقة على التعلم، وإذا وقفنا على صعوبات في التعلم ومشاكل في الفهم والاستيعاب، كان علينا تقويم ذلك وتشخيصه، من أجل تعديل وتصحيح تلك التعلم، وإذا كنا في حاجة إلى توجيه المتعلم نحو شكل ملائم من التعلم، ورصد مكامن القوة والضعف، كان من اللازم لفعل التقويم من أجل القيام بذلك.

وقد قدم دوكتيل² في معرض إجابته عن السؤال "من أجل ماذا نقوم؟"، مجموعة من الوظائف الخاصة بالتقويم:

★ تقويم من أجل المصادقة:

وهو يسمح بأخذ القرار حول مدى تحكم المتعلم في المكتسبات وامتلاكه للتعلمات والمهارات تمكنه من النجاح والانتقال إلى السنة المقبلة، أو السلك الموالي أو الحياة المهنية اللاحقة، هذه الوظيفة تركز على الأهداف العامة النهائية، وليس على الأهداف الصغيرة أو المتوسطة مثلاً: أن نكون ميكانيكياً خلال مدة معينة، أثناء تقويمه النهائي، لا يمكننا أن نسأله عن كيف يشتغل المحرك، وعلاقته بالزيت المستخدم، بل التقويم النهائي

كمصطلحين مترادفين خاصة في البيداغوجيات التقليدية المتأثرة بالقياس السلوكي السيوكولوجي. ويمكن القول، إن القياس هو سابق في النشأة على التقويم. لكن الاهتمام بمسائل القياس، لم يعرف ذروته إلا مع السيكولوجيا في الغرب خلال القرن 19، فقد نشطت أثناءه نزعة الاحتفاء بالقياس الكمي والإحصائي، قادها كل من فرانسيس كالتون (Galton)، وألفريد بيني (Binet) صاحب رائز قياس الذكاء أو معاملات الذكاء.

التقويم	القياس
أشمل من القياس	جزء من التقويم
يحكم على قيمته	يهتم بوصف السلوك
عملية تشخيصية وعلاجية في آن واحد	محدود ببعض المعلومات عن الموضوع
يصف السلوك وصفا كميًا ونوعياً	يصف السلوك وصفاً كميًا بناءً على أن القياس عدد ووحدة.
التقويم يعطي تقديراً لقيمة القياس	وصف أكثر موضوعية للسمات أو السلوك أو الخصائص
يعتمد التشخيص والعلاج ¹	يعتمد على الدقة الرقمية

2- التقويم المدرسي: وظائفه، أشكاله، وأدواته

2-1- وظائف التقويم

تكمن أهمية التقويم في كونه يروم إضفاء الفعالية على العملية التعليمية التعلمية؛ حتى تستطيع تحقيق أهداف التعليم وكفائاته، كما يسمح بترسيخ قيم المساواة

¹ مجلة دفاتر التربية والتكوين، الصادرة عن المجلس الأعلى للتعليم، العدد 4، فبراير 2011، ص 73.

² DE KETELE, J.M, *Observer pour éduquer, op. cit.* pp. 40-43.

مهمة، كالوظيفة التنبؤية للتقويم، التي تسمح بتوقع مسار التلميذ وتوجيهه إلى تعلمات جديدة، من خلال معرفة سابقة بقدراته ومكتسباته، كمدل الذكاء لدى المتعلم، الذي يمكننا من تنبؤ مساره التعليمي التعليمي، وكيفية التعامل معه بيداغوجيا وديداكتيكيا، كذلك الوظيفة التراتبية للتقويم؛ حيث يتيح ترتيب الكفايات والأهداف، حسب أسبقية تحقيقها وتنفيذها من خلال درجة الصعوبة والتعقيد.

مثال: كأن يكون التلميذ قادرا على حساب ارتفاع شكل هندسي، قبل أن يكون قادرا على حساب مساحته.²

وقد قدم الدكتور والخبير التربوي العلمي الخمار وظائف التقويم، حيث لخصها في ثلاث وظائف رئيسية، نوردتها كما عرضها في كتابه نظرا لأهميتها ومحوريتها.³

المطلوب هنا، هو أن نضع له سيارة في حالة معطلة ونطلب منه تحريكها.

★ تقويم من أجل التعديل والتكوين:

يقف على مدى تحقق الكفاءات والأهداف خلال درس أو حصة، حيث وظيفته تدخلية تصحيحية ومصاحبة، هي وظيفة خاصة بالإنجاز المرحلي للمهام ومدى نجاحه أو فشله.

★ تقويم من أجل التشخيص:

وهو يسمح بأخذ مجموعة من القرارات التصحيحية، والتشخيصية من أجل استكشاف وتشخيص الصعوبات التي قد تواجه المتعلمين قصد تجاوزها.

★ التقويم من أجل التصنيف:

وهو التقويم الذي وظيفته تصنيف التلاميذ إلى مجموعات متجانسة أو غير متجانسة، حيث يعطي رؤية استشرافية لكيفية التعامل مع كل فئة من التلاميذ، والتقويم هنا، يتداخل بشكل كبير مع البيداغوجيا الفارقية. وقد أثبتت دراسة قام بها كل من دواز وبييري كليرمون أن النمو المعرفي والاجتماعي للأطفال يتطور بشكل كبير في الجماعات غير المتجانسة لذلك التقويم يلعب -هنا- دورا كبيرا في تحديد هذه المجموعات ومعرفة درجة كفاءاتهم وقدراتهم.¹

هناك وظائف أخرى يقدمها دوكتيل غير معروفة

كثيرا في الساحة التربوية المغربية لكنها تبقى

² Ibid. p. 42.

³ العلمي، الخمار، (2015)، مستقبل التربية والثقافة في المغرب: مدرسة الكفايات وكفايات المدرسة السياق والتحول، ط.1، إيدسون بلوس، مطبعة النجاح الجديدة، ص.94.

¹ Ibid. p. 42.

التقويم التربوي: نحو الضبط المفاهيمي والفعالية الوظيفية

إن أدوات التقويم وتوظيفها يختلف حسب الموضوع المَقوم، وكذا المادة المدرسة. فكل موضوع له خصوصياته تجعل من اختيار أداة التقويم مسألة في غاية الأهمية، نفس الشيء بالنسبة للمادة المدرسة؛ فمثلا، التقويم في مادة الفلسفة والاجتماعيات خاصة في مستوى الثانية بكالوريا، لا يمكن أن يجري بالاختبارات الموضوعية من نوع صحيح أم خطأ، أو من خلال المزاججة بين عبارتين، بل يعتمد على الاختبارات المقالية التي تشوبها بدورها عوارات كثيرة واختلالات شتى، من قبيل أنها تفتح الباب على مصراعيه لذاتية ومزاجية المدرس، كما أن هذه الاختبارات لا تتيح لنا إمكانية تقويم القيم والاتجاهات.

عرض دوكتيل في كتابه (Observer pour éduquer) مجموعة من أنواع الاختبارات، التي تختلف فيما بينها، من حيث طبيعتها وطريقة توظيفها، إذ قدم هذه الاختبارات مصحوبة بأمثلة مفسرة وموضحة لكيفية استخدامها أثناء عملية التقويم. من بين هذه الاختبارات ما هو موضوعي مثلا:

- أسئلة صحيح أم خطأ (les items vrai-faux)؛
- الاختيار من متعدد (les items à choix multiple)؛
- اختبار المزاججة (les items à appariement)؛

وظائف التقويم	أنواع القرار	
وظيفة توجيهية	رصد مكانم القوة والضعف عند المتعلمين بغاية علاجها، أو توجيههم نحو شكل من التعلم ملائم لنوع الصعوبة المرصودة.	بداية التعلم
وظيفة تضييضية أو تكوينية	رصد الصعوبات التي تواجه المتعلمين لمعالجتها أثناء حصولها؛ وتسمى كذلك تكوينية، وتسبقها عملية تشخيص لمكانم القوة والضعف عند المتعلم، وإن بدرجة أقل من التقويم التشخيصي في البداية.	أثناء التعلم
وظيفة التحقق من مكتسبات كل متعلم	تحديد درجة تمكن المتعلم من المكتسبات الضرورية والحد الأدنى من الكفايات التي تسمح له بالانتقال، من مستوى دراسي إلى آخر، أو توجيهه نحو مسلك معين وفق مواصفات خاصة.	نهاية التعلم

2-2- وسائل التقويم وأدواته:

إن التقويم قديما كان يتسم بطابع الارتجال والذاتية، يتم عبر منح نقط تقديرية للتلاميذ، يصنفون عبرها إلى خانات منها: الجيدون، والمتوسطون، والضعفاء. أما مع تبني التعليم بواسطة الأهداف، فالتقويم أصبح دائما ومستمر هدفة التحكم في الأهداف والتأكد من مدى تحققها، اعتمادا على أدوات قياس موضوعية أهمها الاختبارات الشفوية، المقالية، والاختبارات الموضوعية، والملاحظة، وكذلك يتم اعتماد ما يسمى سلا لم القياس التي غالبا ما تستخدم في تقويم الاتجاهات والقيم. كسلم ليكرت، وايت، وألبورت.

لم يعد التقويم التربوي الآن يختزل في بعد سيكولوجي، يحمل المتعلم كل تبعات الفشل وكأنه هو المسؤول الوحيد عن فشله وتعثره. إن التقويم المدرسي، هو أكبر وأثقل من أن يحد في بعد واحد ضيق الأفق، وضحل النظر.. كلام يعززه ويدعمه ما جاء به فيليب بيرونو في كتابه **تقويم التلاميذ**، حينما أدرج خطأ جامعة شاملة لما سبق ذكره في السابق، وسوف أقدمها كما وردت في الكتاب من أجل الحفاظ على خاتمتها العلمية الغنية².

■ نصوص التكملة (les textes à compléter)؛

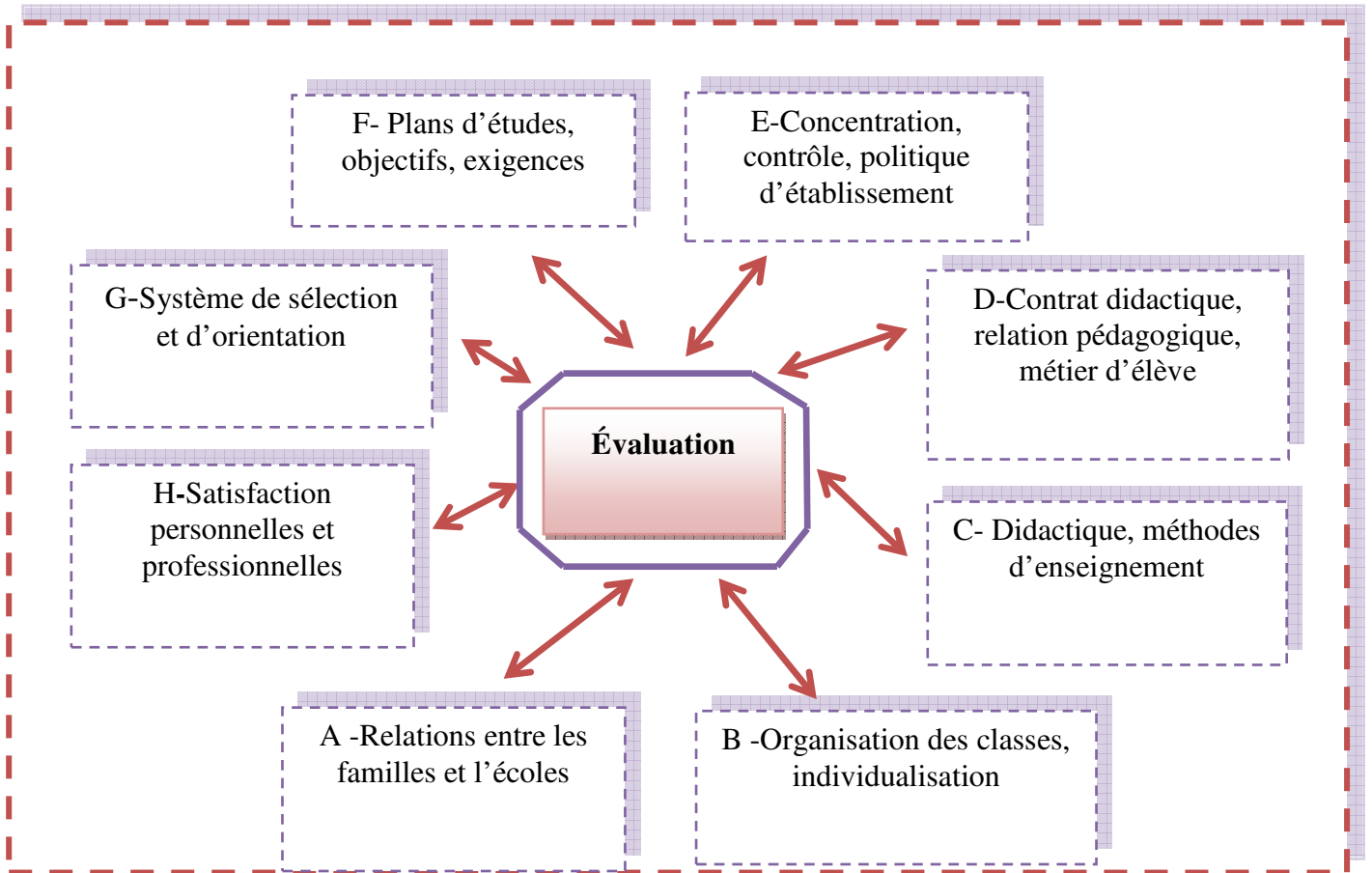
■ نصوص ملء الفراغ (les textes lacunes).

وهناك ما هو مقال أو كما يسميه دوكيتيل أسئلة الإنتاج الكلاسيكية (questions de production)¹، وتضم الاختبارات المقالية أشكالاً معروفة في مجال التقويم المدرسي مثلاً: الإنشاءات المقيدة أو القصيرة، والإنشاءات المفتوحة كما هو حاصل في تقويم مادة الفلسفة وكذلك في مادة الاجتماعيات في الشق المقال. إن هذه الاختبارات المقالية هي كما أشار "دوكيتيل" عبارة عن مطالب قد تأخذ شكل أسئلة تتطلب كتابة أجوبة مقالية مطولة، فيها نوع من الحرية شيئاً ما، فهي رغم أهمية كونها تنمي القدرة على الإبداع في الكتابة، وإنتاج أفكار، إلا أنها تفتح الباب أمام ذاتية المصحح ومزاجه أثناء عملية التصحيح، وأنها تبقى غامضة وعامة، ولا تغطي كل المقرر الدراسي، بالإضافة إلى أنها قد تتأثر بأسلوب ولغة المقوم أثناء التحرير، فينعكس ذلك سلباً على النقطة العددية التي ستمنح له. والأهم مما سبق، هو أن هذه الاختبارات المقالية التي تعتمد بالتحديد في مادة الفلسفة والاجتماعيات، لا تتيح إمكانية تقويم القيم والاتجاهات (Attitudes)، فهو يحتاج آليات أخرى كسالم القياس والتقويم، والملاحظة، والمقابلة... إلخ.

² PERRENOUD, P.(1998). *L'évaluation des élèves : de la fabrication de l'excellence à la régulation des apprentissages, entre deux logiques*, Paris-Bruxelles : De Boeck université. pp. 8-13.

¹ DE KETELE, J.M, Ibid, p.72.

L'évaluation au centre d'un octogone



المراجع:

- العلمي، الخمار. (2015). مستقبل التربية والثقافة في المغرب: مدرسة الكفايات وكفايات المدرسة السياق والتحويلات، ط.1، إيديسون بلوس، مطبعة النجاح الجديدة.
- منصف، عبد الحق. (2007). رهانات البيداغوجيا المعاصرة: في قضايا التعلم والثقافة المدرسية، الدار البيضاء: أفريقيا الشرق.
- BARBIER, J.M. (1990). *L'évaluation en formation*, Paris : PUF
- DE KETELE, J.M. (1987). *Observer pour éduquer*, 4^e édition, Berne, Peter Lang.
- HADJI, C. (2014). *Méthodologie d'évaluation en éducation et formation*, in Figari, G. et Remaud, D.(2014). avec la collaboration de Claire Tourmen, Bruxelles, De Boeck,
- HADJI, C. (1990). *L'évaluation, règles du jeu*, 2^{ème} édition, Paris, ESF éditeur
- PERRENOUD, P.(1998). *L'évaluation des élèves : de la fabrication de l'excellence à la régulation des apprentissages, entre deux logiques*, Paris-Bruxelles : De Boeck Université.